الأدب والنقد في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

الوساطة في التعليم :

لا شك أن الأزمة القائمة في قبول الطلاب بالمدارس ومعاهد التعليم المختلفة ، يعاني كثير من الناس شرها ، ويلاقون فيها الضيق والمشقة ، ولا تقتصر الآفة على مظاهرها القريبة البادية ، فإن لها آثاراً بعيدة غير هذه المظاهر . إن الوالد اللهيف الحريص على تعليم ولده لا يدخر وسعاً في رجاء أصدقائه ومن يلوذ بهم من ذوي النفوذ في القبول بالمدارس ، من كبير في الوزارة أو ناظر أو ناظرة أو مدرس أو مدرسة ، أو من يتذرع بهم إلى هؤلاء — هذا الوالد ، وهو مثل من كثير ، يعدُّ الأزمة منتهية بقبول ولده في المدرسة أو الكلية ، ولكن هناك أثراً بعيداً غائراً في نفس الولد ، فقد قر عنده أن « كل شيء بالواسطة » حتى دخول المدارس . سيمشي متاعب أبيه في سبيل إدخاله المدرسة ، وما بذله في هذا السبيل من وقت وجهد كان عمله في حاجة إليهما ، وما عساه أن يكون قد شعر به من الحرج في رجاء الناس ؛ ولكنه لن ينسى أن « الواسطة » مفتاح الباب المغلق ولو كان باب العلم .

ويا لحسرة الواقفين وراء الأسوار والأبواب .. إنهم هم أيضاً تتفتح أعينهم على أن « كل شيء بالواسطة » فهم يندبون حظهم لأنهم لا وسيط لهم .. حتى من لا تنفع في حالته الوساطة لو تيسرت لكن كبرت سنه وكثر رسوبه ، إن هذا أيضاً يدعي أنه محروم لفقدان الوسيط .

وما بال هذا الذي تتحقق في ولده شروط القبول وتتوافر له أسباب الأولوية ، من ملاءمة السن وتقدم في النجاح ونحو ذلك ، ما باله يجرح إلى من يوصي بولده ؟ إنه يعيش في الجو ... ويخيل إليه أن الوساطة أول الشروط ! وهناك كثير من الناس يرون في اتخاذ الوساطة مظهراً للوجاهة ودلالة على علو المكانة ، فالقصد عندهم معين في ذاته جليل بجلالة الوسيط ...

وهكذا يتفتح الجيل الناشيء الغض على منظر هذا الداء ، فيألفه ويتصوره أمراً عادياً ليس فيه من عوج ولا أمت . وقد تلقى عليهم في بعض الدروس أشياء عن الحقوق والواجبات والعدالة والمساواة وما إلى ذلك ، فيأخذونه على أنه كلام ينفع في الامتحان أما الحياة الواقعة فقد رأوا فيها بأعينهم « تطبيقات » على غير ذلك

وبعد فذلك وجه من وجوه أزمة القبول في دور العلم ، وهو من أوجهها الخفية البعيدة ، وما أرى للداء دواء غير أن يقتلع من جذوره بتيسير العلم لطلابه وتعليم الراغبين في التعليم ؛ وإنه لن تضيع الفوائد أن يهمل هذا الإقبال الشديد الدال على شدة الرغبة والتعطش دون انتهازه للقضاء على الجهل والأمية ، ومن الحق أن نصد الصغار عن التعليم لتكافح الجهل والأمية فيهم كباراً .

إلى معالي وزير المعارف :

كتب إليّ أحد إخواننا المدرسين يقول إنه حرر (الاستمارة) التي اعتاد أن يكتبها في أول كل عام دراسي ، لطلب تسليم أولاده بمصروفات مخفضة ، وله ثلاثة أولاد في روضة الأطفال ، فردت منطقة القاهرة الثانية (الاستمارة) بعد أن كتبت عليها : « معاد إلى حضرة الأستاذ — للعلم بأن قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٢٣ / ١ / ٤٩ لا يعطي الحق في التماسه هذا إذ أن الإعفاء من المصروفات للمدرسين لا ينصب إلا على التلاميذ المقيدين بالمدارس الثانوية وما في حكمها . مع قبول الاحترام »

ومعنى ذلك حرمان المدرس المنحة التي كانت تجرى عليها الوزارة في معاملة أولاد المدرسين برياض الأطفال ، والتي تقضي بأن يكون الولد الأول بمصروفات كاملة وأن يعفى الأربعة الذين يلونه من نصف المصروفات ثم يعفى من بلي هؤلاء إعفاء كاملاً . فكيف أقدمت وزارة المعارف على ذلك وهي التي تعمل على التخفيف عن المدرسين في نفقات أولادهم المدرسية ؟

علمت أن الوزارة أصدرت منشوراً يتضمن الأمر بإبطال العمل السابق ، والاكتفاء بتطبيق قرار مجلس الوزراء الصادر في ٢٣ / ١ / ٤٩ وهو يقضي بإعفاء أولاد المدرسين من مصروفات التعليم الثانوي وما في مستواه لمن يثبت منهم أنه يدفع مصروفات

مدرسية لطلاب واحد في مرحلة تعليمية غير المرحلة الأولى .

والذي يستوقف النظر أن هذا « التشور » بني على أساس أن القرار الأخير أعم وأوسع في مزاياه من القرار الأول وأكثر منه تيسيراً وتمكيناً لرجال التعليم من تعليم أبنائهم دون إرهاق !! فكيف يصدق هذا بالنسبة إلى ذوي الأطفال الذين يتعلمون في الرياض ! لقد سلبوا ما كانوا يتمتعون به فيما مضى ، ولم يجدهم القرار الأخير شيئاً !

وبعد فإلى معالي وزير المعارف الجديد محمد حسن العشماوي باشا يساق الحديث ، وهو زعيم الإصلاح الاجتماعي ورجل قضاء وعدل ، ولا أشك في أنه سيصير الأمر ما هو جدير به من عناية الصلح العادل واهتمامه ، تقديراً لما يقوم به الملهون من جهود في أداء الرسالة التعليمية .

أعظم ما كتب يوسف وهبي:

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالي في الأوبرا الملكية برواية « اليوم خمر » ثم مثلت بعدها رواية « ابن الحسب والنسب » فكان ابتداء حسناً يلائم رسالة الفرقة في ترقية التمثيل العربي .

ثم قدمت الفرقة أخيراً رواية « الصحراء » وقالوا في الإعلان عنها إنها « أعظم ما كتب يوسف وهبي » وهي من روايات مسرح رمسيس القديمة التي ألفها يوسف وهبي ، أو هي أعظمها كما قالوا . وتقع حوادثها في طرابلس الغرب حيث يجري الكفاح بين الإيطاليين وعرب المغرب ، وقد وضعت الرواية ومثلت بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، فكان زمنها بطبيعة الحال إبان الحرب الأولى ، ولكنا شاهدناها تمثل الآن على أن زمنها في الحرب الثانية ، فقد سمعنا أبطالها يرددون كلمات « الدوتشي وموسيليني وروميل » ولكن العجيب أنهم يتناقلون ما وقع لعمر المختار على أنه حاصل في وقت وقوع هذه الحوادث أي في الحرب العالمية الثانية ، فهذا خلط تاريخي كان الالتفات إليه وعدم الوقوع فيه من أيسر الأشياء ثم إن الحروب بين الإيطاليين وعرب المغرب إنما كانت ملابسة للحرب الأولى وبعدها ، فكانت فظائع المستعمرين واستبسال المغاربة في مقاومتهم حديث الناس أيام مثلت هذه الرواية بمسرح رمسيس ، أما في الحرب الثانية وبعدها فلم يكن شيء من ذلك .

تشكول الأسبوع

□ وصل إلى الإسكندرية يوم السبت الماضي عميد الأدباء الدكتور طه حسين بك عائداً من أوربا . وقد كتب إلى « الأهرام » عقب وصوله ما يلي : « لم أكد أصل إلى الإسكندرية حتى أبلغت أن مجلة « القصة » التي تصدر عن دار الهلال تنشر لي مقالات وتجد اسمي وسيلة إلى الإعلان . فأسف أشد الأسف لأني لم أستأذن في شيء من ذلك ولم أكن [illegible] أن أعارض في نشر شيء [illegible] » . وورد وليس محرر المجلة بأن دار الهلال دفعت ثمن القصص التي نشرت . وقد علمت أن هذا الثمن دفع لقاء نشر القصص بالفعل ، أما تكرار نشرها بمجلة القصة فشيء آخر .

□ تلقى « صاحب الكشكول » من الأستاذ عبده حسن الزيات المحامي رسالة يقول فيها إنه قرأ في الكشكول اسم « محمد عبده حسن الزيات » ضمن الأساتذة الذين ألفت منهم لجنة ديوان ابن الرومي ، وشاء تواضع الأستاذ الكبير وظرفه أن يدفع مظنة كونه المقصود كما لا يوجه نقد إلى وزارة المعارف ... والواقع أن المقصود في عصرية اللجنة هو الدكتور محمد حسن الزيات المدرس في كلية الآداب بجامعة فاروق ، وهو شقيق الأستاذ العلم عبده حسن الزيات .

□ أعلنت الأكاديمية السويدية أن جائزة نوبل للأدب لن تمنح هذا العام لأحد ، إذ لم يحصل أي واحد من المرشحين على أكثرية الأصوات اللازمة لنيل الجائزة

□ ورق إلى الفرجة الرابعة الأستاذ كامل محمود حبيب « مصور المباراة » في الرسالة . وهو وكيل إدارة التسجيل الثقافي بوزارة المعارف . ولا شك أنه جدير بهذه الترقية ، أما نحن فنهنئ أنفسنا

□ نعى الأستاذ الطاهر في « آخر ساعة » على أدبائنا الذين يتسابقون إلى الكتابة في ذكريات أدباء الغرب وفنانيه دون أن يهتموا بذكرى أديب أو موسيقي عربي ، قديم أو حديث . ومنا الأستاذ ذلك إلى مركب النقص الذي يحمل هؤلاء على التظاهر والادعاء بأنهم ضلعاء في أدب الغرب .

□ كتبت مجلة الإذاعة المصرية في عددها الأخير ما يلي : « تقدم حضرة صاحب العزة الدكتور محمد صلاح الدين بك عرضاً وتحليلا لقصة (الحسب والنسب) التي ألفها الكاتب الروائي محمود بك تيمور » وهي تقصد مسرحية « ابن الحسب والنسب » المترجمة عن الفرنسية التي مثلتها الفرقة المصرية أخيراً ... فكيف ألفها تيمور بك ياجهابذة الإذاعة ... ؟

□ تم يوم الخميس الماضي عقد الاتفاقية الثقافية بين مصر والولايات المتحدة ، وهي تقضي بأن تنشىء الولايات المتحدة في مصر إدارة ثقافية لتنظيم البرنامج الثقافي بين البلدين

□ اعتزمت الفرقة المصرية أن تقوم برحلة تمثيلية ، بعد انتهاء مدتها بالأوبرا ، في يناير القادم إلى تونس والجزائر ومراكش ، وستزور هذه الرحلة شهرين ، وتقدم في خلالها روايات ذات طابع عربي كالناصر وحواء الخالدة وسر الحاكم بأمر الله .

وتجرى الحوادث حول شخصية الأمير عماد بن سعد (يوسف وهبي) وهو قائد طرابلسي يقاتل الإيطاليين ، وله زوجتان: زوجة عربية وهي أمينة (نجمة ابراهيم) وأخرى إيطالية وهي لينا (سامية فهمي) وله ولدان من كل منهما : شهاب (فاخر فاخر) من العربية وحسن (عمر الحريري) من الإيطالية . تفر الإيطالية بابنها مع جنود إيطاليين يفقؤون عيني الأمير عماد ، وينتهي بذلك المشهد الأول . وفي المشهد الثاني نرى كهفاً يعيش به الأمير الضرير وزوجته العربية التي أصيبت في غارة جوية بساقها فأصبحت مقعدة وابنهما شهاب وابنة عمه عائشة (أمينة رزق) التي يحبها وتحبه ، وقد أرسم شهاب للحاق بفرقة من المدافعين عن الوطن ، فتودعه أمه وتموت بين يديه ، وينتهي المشهد بذهابه مع الفرقة ، والمشهد الثالث في الكهف أيضاً حيث يعيش الأمير وابنة أخيه عائشة ، يطرقها جندي إيطالي جريح ، فيؤويانه على مقتضى المروءة العربية ، وبعد ذلك يتبين أنه حسن ابن الأمير من الإيطالية . وفي المشهد الرابع نرى حسناً يحاول أن يكسب مودة عائشة التي حزنت على خطيبها شهاب ، وبعد حوار بينهما تبدي له أنها تجيبه إلى رغبته في الزواج منها إذا قاتل الأعداء وثأر لأخيه وعاد منتصراً ، ولكن حسناً يحار في أمره لأنه لا يزال يعد نفسه إيطالياً تبعاً لأمه ، ثم يلتقي بجاسوس إيطالي فيتفق معه على نقل أخبار العرب إلى الجيش الإيطالي ، ويسمع الأمير عماد الجاسوس وينقل أسرار الجيش العربي للاسلكي ، فيتحسس ناحيته حتى يمسك به ويستنيث ، ولكن الجاسوس يفلت منه ويسدد إليه المسدس فيلتمس حسن بأبيه فيصيبه رصاص الجاسوس فيرديه . وهنا تستعصي الرواية على يوسف وهبي المؤلف إذ تأبى أن يختتم ... فيزعق يوسف وهبي الممثل زعقة عائلة تجعل وفد شهاباً يبرز من تحت الأرض وكان قد بلغه أنه قتل فيظهر أنه كان جريحاً فقط ، فيلتقاه في أحضانه ، على حين تجري أمينة رزق (عائشة) بالبندقية متحمسة مع المتحمسين لقتال الأعداء . وتلتقي فلقتا الستار ..

كان المشهد الثالث أحسن المشاهد كلها ، فقد كان هادئاً تجلت فيه الإنسانية والمروءة في إيواء العدو الجريح والعطف عليه . وقد اعتمد في أكثر أجزاء القصة على « الرواية » أي أن اثنين من أبطالها يتحادثان طويلاً ليخبرانا بما حدث من كذا وكذا ، وكان حديث الشخص الواحد يطول حتى يكاد يتحول إلى خطيب ، ومن ذلك الحديث الذي دار في أول مشهد بين الشيخ صالح والشيخ حسان عن المستعمرين وعمائلهم من الخونة ، فكان الثاني يلقي كأنه على منبر يوم جمعة ... وفي أثناء الحديث بدا المسرح في منظر غريب ، جلالان يسيران الهوينى ونساء يحملن الجرار فارغات — إذ يحملنها وجوانبها على رؤوسهن — في الذهاب وفي الإياب ! ورجال كثير يروحون ويجيئون ، والجميع صامتون كأنهم قبيلة من الخرس ! وكل ذلك حتى يفرغ المتحدثان ، وبعد ذلك يأخذ الرجال في صلاة المغرب ، فيطيلون الركوع والسجود ويمدون التكبير والحمد والتسبيح ، ويختمون الصلاة بالأدعية ، وكل ذلك أيضاً لكي تتمكن امرأتان من حديثهما المقصود منه « رواية » بعض الحوادث البعيدة عن المسرح ! ولذلك وأمثاله كانت الحركة بطيئة مملة والتسلسل المشوق ممنوعاً ، ولم يكن يمنع الجمهور من النوم غير انفجارات البنادق والنارة الجوية ... وانفجار بعض (الأكلشيهات) الوطنية التي تستجلب التصفيق ... ولست أدري ولا المؤلف (وهو المخرج أيضاً) يدري كيف يهجم جنود الأعداء على مكان القبيلة وطائراتهم تحلق فوقه وتقذفهم بالقنابل!

وموضوع الرواية ، أو المدعى أنه موضوعها ، هو الإشادة بالبطولة العربية في المغرب ، ولكن أين ذلك على المسرح ؟ أفي عرض جماعة من حملة السيوف يشرعونها نحو الطائرات التي تقذفهم بالقنابل ... وكيف تقاتل الطيارات والمدمرات بالسيوف ؟! وقد كان في الإمكان الذي يتفق مع الواقع أن يكون في أيدي الأبطال بنادق بدلاً من السيوف .

أم في ذلك للمشهد العجيب الذي شغل ببكاء الأم وتشييع الحبيبة قبيل رحيل الشاب إلى الحرب ؟ كان الأوفق أن تتجملا بالصبر والجلد أمامه ، ولا بأس بقليل من العواطف يبدو في أثناء التجلد ، وقد كان هذا المشهد « فاصلة » مملة من العويل والبكاء تجلت فيه أمينة رزق !

هنا وذاك إلى الروح الفاتر الذي ران على كل الأبطال ... ولم تقدم لنا المسرحية بطلا واحداً تملأ العين شجاعته ، ومن هنا انعدام رسم الشخصيات ، حتى الأمير عماد ، والغرض أنه قائد مغوار ، فقد رأيناه أولا منهوكا لا يستطيع الوقوف ، وبعد ذلك صار شيخاً ضريراً لا حول له ولا طول ، حتى زعق زعقته الأخيرة التي كانت حول الختام ...

عباس خضر